والقسوة : الصلابة واليبس وهي عبارة عن خلوها من الإنابة والإذعان لآيات ا مع وجود ما يقتضي خلاف هذه القسوة من إحياء القتيل وتكلمه وتعيينه لقاتله والإشارة بقوله : 74 - { من بعد ذلك } إلى ما تقدم من الآيات الموجبة للين القلوب ورقتها قيل : أو في قوله : { أو أشد قسوة } بمعنى الواو كما في قوله تعالى : { آثما أو كفورا } وقيل : هي بمعنى بل وعلى أن أو على أصلها أو بمعنى الواو فالعطف على قوله : { كالحجارة } أي هذه القلوب هي كالحجارة أو هي أشد قسوة منها فشبهوها بأي الأمرين شئتم فإنكم مصيبون في هذا التشبيه وقد أجاب الرازي في تفسيره عن وقوع أو ههنا مع كونها للترديد : أي لا يليق لعلام الغيوب بثمانية أوجه وإنما توصل إلى أفعل التفضيل بأشد مع كونه يصح أن يقال وأقسى من الحجارة لكونه أبين وأدل على فرط القسوة كما قاله في الكشاف وقرأ الأعمش أو أشد بنصب الدال وكأنه عطفه على الحجارة فيكون أشد مجرورا بالفتحة وقوله : { وإن من الحجارة } إلى آخره قال في الكشاف : إنه بيان لفضل قلوبهم على الحجارة في شدة القسوة وتقرير لقوله { أو أشد قسوة } انتهى وفيه أن مجيء البيان بالواو غير معروف ولا مألوف والأولى جعل ما بعد الواو تذييلا أو حالا التفجر : التفتح وقد سبق تفسيره وأصل { يشقق } يتشقق أدغمت التاء في الشين وقد قرأ الأعمش يتشقق على الأصل وقرا ابن مصرف ينشق بالنون والشق واحد الشقوق وهو يكون بالطول أو بالعرض بخلاف الانفجار فهو الانفتاح من موضع واحد مع اتساع الخرق والمراد : أن الماء يخرج من الحجارة من مواضع الانفجار والانشقاق ومن الحجارة ما يهبط : أي ينحط من المكان الذي هو فيه إلى أسفل منه من الخشية التي تداخله وتحل به وقيل : إن الهبوط مجاز عن الخشوع منها والتواضع الكائن فيها انقيادا D فهو مثل قوله تعالى : { لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية ا } وقد حكى ابن جرير عن فرقة أن الخشية للحجارة مستعارة كما استعيرت الإرادة للجدار وكما قال الشاعر : .

(لما أتى خبر الزبير تواضعت ... سور المدينة والجبال الخشع) .

وذكر الجاحظ أن الضمير في قوله : { وإن منها } راجع إلى القلوب لا إلى الحجارة وهو فاسد فإن الغرض من سياق هذا الكلام هو التصريح بأن قلوب هؤلاء بلغت في القسوة وفرط اليبس الموجبين لعدم قبول الحق والتأثر للمواعظ إلى مكان لم تبلغ إليه الحجارة التي هي أشد الأجسام صلابة وأعظمها صلادة فإنها ترجع إلى نوع من اللين وهي تفجرها بالماء وتشققها عنه وقبولها لما توجبه الخشية من الخشوع والانقياد بخلاف تلك القلوب وفي قوله : { وما ا بغافل عما تعملون } من التهديد وتشديد الوعيد ما لا يخفى فإن ا D إذا كان عالما بما

يعملونه مطلعا عليه غير غافل عنه كان لمجازاتهم بالمرصاد .

وقد أخرج عبد بن حميد وابن جرير عن مجاهد في قوله : { وإذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها } قال : اختلفتم فيها { وا مخرج ما كنتم تكتمون } قال : ما تغيبون وأخرج ابن أبي حاتم والبيهقي في شعب الإيمان عن المسيب بن رافع قال : [ما عمل رجل حسنة في سبعة أبيات إلا أظهرها ا وما عمل رجل سيئة في سبعة أبيات إلا أظهرها ا] وتصديق ذلك في كتاب ا { وا مخرج ما كنتم تكتمون } وأخرج أحمد والحاكم وصححه عن أبي سعد قال : قال رسول ا A : [لو أن رجلا عمل عملا في صخرة صماء لا باب لها ولا كوة خرج عمله إلى الناس كائنا ما كان] وأخرج البيهقي من حديث عثمان قال : قال رسول ا A : [من كانت له سريرة صالحة أو سيئة أظهر ا عليها منها رداء يعرف به] ورواه البيهقي أيضا بنحوه من قول عثمان قال : والموقوف أصح وأخرج أبو الشيخ والبيهقي عن أنس مرفوعا حديثا طويلا في هذا المعنى ومعناه : ان ا يلبس كل عامل عمله حتى يتحدث به الناس ويزيدون ولو عمله في جوف بيت إلى سبعين بيتا على كل بيت باب من حديد وفي إسناده ضعف وأخرج ابن عدي من حديث أنس أيضا مرفوعا [إن ا مرد كل امرئ رداء عمله] ولجماعة من الصحابة والتابعين كلمات تفيد هذا المعنى وأخرج عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله : { فقلنا اضربوه ببعضها } قال : ضرب بالعظم الذي يلي الغضروف وأخرج عبد بن حميد عن قتادة أنهم ضربوه بفخذها وأخرج مثله ابن جرير عن عكرمة وأخرج نحوه عبد بن حميد وابن جرير عن مجاهد وأخرج ابن جرير عن السدي قال : ضرب بالبضعة التي بين الكتفين وأخرج عبد بن حميد وأبو الشيخ في العظمة عن وهب بن منبه قصة طويلة في ذكر البقرة وصاحبها لا حاجة إلى التطويل بذكرها وقد استوفاها في الدر المنثور وأخرج عبد بن حميد وابن جرير عن قتادة في قوله : { ثم قست قلوبكم من بعد ذلك } قال : من بعد ما أراهم ا من إحياء الموتى ومن بعد ما أراهم من أمر القتيل { فهي كالحجارة أو أشد قسوة } ثم عذر ا الحجارة ولم يعذر شقي بني آدم فقال : { وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار } إلى آخر الآية وأخرج ابن إسحاق وابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عباس قال : أي من الحجارة لألين من قلوبكم عما تدعون إليه من الحق وأخرج عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس قال : [إن الحجر ليقع على الأرض ولو اجتمع عليه فئام من الناس ما استطاعوه وأنه ليهبط من خشية ا]